29.3: A2AA.C.1

A.U.B. LIBRARY

297.3
A12nA
c.1

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
LIBRARY

كتاب

نجاة الناس بكلمة الاخلاص

تأليف

العالم العلامة ، الجامع بين المعقول والمنقول الشيخ الارشد والحجة الاوحد
المرحوم الشيخ عبد المحسن القاضي بالجيوش العراقية والخابورية العباسي
اباً والحسن السكري اماً والسهروردي طريقة ونسبة

عني بنشره محمد صالح بن محمد سليم حفيد المؤلف

28809

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الاولى

سنة ١٣٤٥ هـ

طبع في مطبعة الفلاح ببغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى طيب ارواح الموحدين بعنبر لااله الا الله ، وضرب اعناق المشركين بسيف لا اله الا الله وغفر ذنوب الخاطئين بكلمة لا اله الا الله واحرق قلوب المشتاقين بشوق لا اله الا الله ، وسقى قلوب الذاكرين من زلال كوثر لااله الا الله احمده واشكره واشهد ان لا اله الاالله وحده لا شريك له ، شهادة عبد صادق بكلمة لا اله الا الله ،

واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله نبي امر بقتال المشركين حتى يقولوا لا اله الا الله ، وان محمداً رسول الله ورضى الله تعالى عن اصحابه الكرام الذين اوصى امته باتباعهم والاتصاف بصفاتهم بقوله « اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم » وقوله « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي » فرضى الله تعالى عنهم اجمعين وعن التابعين لهم الى يوم الدين .

اما بعد فيقول العبد الضعيف الراجي عفو ربه القدير ، محمد محسن ابن العلامة الشيخ محمد صالح ابن العلامة الشيخ محيي الدين ابن العالم الفاضل والشيخ الكامل مصطفى ابن الشيخ عبد القادر ابن الشيخ محمد ابن العلامة

الشيخ كمال الدين ابن العلامة الشيخ سيف الدين العباسي ابا والحسن العسكري اما والبغدادي منشأ والحنفي مذهباً والماتريدي عقيدة ومعتقداً والقادري طريقة .

لما رأيت ان الواجب الشرعي يقضي على كل مكلف بلغ حد التكليف ان يوحد مولاه وخالقه بما امر به نبيه وحبيبه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي كلمة التوحيد والاخلاص ، التي بها تحصل عصمة الدماء واموال العوام والخواص ، شمرت عن ساعد الجد والاجتهاد ، متوخياً طريق اهل الحق والسداد ، متنحياً سبيل ذوي الفسق والفساد ، لاؤلف كتاباً مشتملا على الايمان ومراتب المؤمنين ، وان الله تعالى وعد المؤمنين بعشر كرامات ، وان المكلف اذا تم النظر والاستدلال في معرفة الله تعالى ثم مات ولم يجد من الوقت ما يمكنه ان يقول فيه لا اله الا الله ، وان الناس في قول لا اله الا الله ، على مراتب وطبقات ، وما يناسب كل بحث من هذه الابحاث ولما تم سميته ، نجاة الناس بكلمة الاخلاص .

والله تعالى اسأل ان يجعله حرساً منيعاً للعباد ، يردعهم به عن موارد الفساد كما يجعله حبس مواد الزهاد على السداد كي تخلص اشباح الانقياء من ظلم الشهوات وتصفو ارواح المؤمنين ، عن ظلام الشبهات ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه المتاب والمآب .

اما الايمان المعبر عنه بالتصديق والاقرار فاعلم انه لابد له من امرين ، احدهما هو حصول المعرفة في القلب واليه الاشارة بقوله تعالى : فاعلم انه لااله الا الله . وهذا هو الاصل ، وثانيهما الاقرار بالتوحيد باللسان ، واليه

الاشارة بقوله تعالى : قل هو الله احد الله الصمد .

فبهذا كله يعنى حصول معرفة الله تعالى في القلب واظهارها المغير تلاوة كاملة باللسان وعملا بالاركان ، يكون المرء مؤمناً والا فلا نصيب له من ذلك وذلك لان قوله تعالى (قل) أمر المكلفين بان يقولوا باللسان ما يدل على التوحيد ثم تأكد ذلك بالسنة الغراء وهى قوله عليه الصلاة والسلام « امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » والسبب فى انه لابد من اجراء هذا القول المقدس ، هو ان للايمان احكاماً بعضها يتعلق بالباطن وبعضها يتعلق بالظاهر فما يتعلق بالباطن هو احكام الآخرة وذلك متفرع على العلم الذي هو باطن عن الخلق ، وما يتعلق بالظاهر فهو احكام الدنيا ، وهذه لا يمكن اقامتها الا بعد معرفتنا انه مسلم ، ولا معرفة الا بالقول باللسان .

فصارت المعرفة ركناً اصلياً فى الله تعالى والقول ركناً شرعياً في حق الخلق ، بدليل قوله تعالى : ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، وقوله عليه الصلاة والسلام : من قال لا اله الا الله خالصاً مخلصاً دخل الجنة ، وقول الشيخ ابى علي الدقاق عليه الرحمة : من قالها مخلصاً في قالبه دخل الجنة في حالته ، مستدلا بقوله تعالى : ولمن خاف مقام ربه جنتان ، جنة فى الوقت وهى جنة المعرفة يعنى المعرفة فى الله تعالى المعبر عنها بالايمان وجنة غداً وهي جنة الآخرة يعني دار النعيم المعدة للمتقين .

الذكر هل في الابتداء ام في الانتهاء . اختلف المحققون في هل يكون ذكر الله تعالى في الابتداء ام في الانتهاء فقال اكثرهم الاولى ان يكون الذكر

فى الابتداء قول (لااله الا الله) وفي الانتهاء الاقتصار على ذكر كلمة (لله)

ومنهم من قال ، يواظب فى الابتداء والانتهاء على ذكر لا اله الا الله وحجه هؤلاء ، ان عالم القلب مشحون بغير الله تعالى فلا بد من كلمة النفى لنفى الاعتبار ، فاذا صار خالياً فحينئذ يوضع سرير التوحيد ويجلس عليه سلطان المغرقة ، واما الذين التقوا في النهايات بكلمة (الله) فلهم فيه وجوه منها الحجة الاولى ، ان نفى العيب عمن يستحيل عليه عيب ، ومنها الحجة الثانية من قال لا اله الا الله ، فلعله حين ذكر كلمة النفى لا يجد من المهلة ما يصل الى الاثبات ، فحينئذ ينفى فى النفى غير منتقل الى الاثبات وفى الجحود غير منتقل الى الاقرار ، ومنها الحجة الثالثة وهى المواظبة على هذه الكلمة مشعرة بتعظيم الحق بنفى الاثبات الا ان نفى الاغيار من باب الاشتغال بالاغيار ، فنفى الاغيار يرجع الى الحقيقة الى شغل القلب بالاغيار .

وذلك يمنع من الاستغراق في نور التوحيد ، فمن قال لا اله الا الله فهو مشتغل بغير الحق ، ومن قال (الله) فهو مشتغل بالحق فاين احد المقالين اقول وقد تقرر هذا عند السادة الصوفية هو ان العبد اذا اشتغل بنفى شريك الباري عزوجل فلربما قضي عليه وهو في حالة النفى قبل الوصول بالنطق الى الاثبات اى اثبات وحدانية الله تعالى ، فبهذا المعنى يكون على غير الحق لاغير وهذا بخلاف ما اذا اشتغل رأساً بذكر لفظة (الله) وكان قد قضى عليه وهو في هذه الحالة كان على الحق وهذا هو المعنى الثانى ، حيث انه باشر تلاوة ذكر لفظة (الله) بلا تقديم ذكر كلمة نفى على ذكر كلمة (الله) انتهى .

ومنها الحجة الرابعة ان نفي الشيء انما يحتاج اليه عند خطران شريك الله تعالى علوا كبيرا بالبال وخطران شريك الله لايكون الاعند نقصان الحال فاما الكاملون الذين لا يخطر ببالهم وجود الشريك امتنع ان يكلفوا بنفي الشريك ، بل هؤلاء لا يخطر ببالهم ولا يخطر في حالهم الاذكر الله تعالى ، فلا جرم يكفيهم ان يقولوا (الله) لسلامة قلوبهم وطهارتها من الخطورات .

واما مراتب المؤمنين ، فاعلم انها على ثلاثة اقسام ، السابقون والمقتصدون والظالمون ، قال تعالى : ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ، فالسابقون هم الاولياء وهؤلاء لا يخاف عليهم كما انهم لا يخافون عذاب الله ولا يحزنون ، قال تعالى : الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

والمقتصدون هم العلماء والظالمون هم العوام ولكل واحد من هذه الارواح الثلاثة اثر ونور ، فاذا اتصلت صارت كالمرآة المتحاذية فتنعكس انوار بعضها الى البعض فيصير كل واحد منها مكملا للآخر من وجه ومستكملا لها من وجه آخر ، ولهذا السبب كان آخر مقامات الصديقين الحب في الله ثم اعلم ان لقوله تعالى : ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ، باذن الله ؛ معنى آخر وهو ان الكتاب هو القرآن العظيم والمصطفون هم الذين اخذوا به وهم المؤمنون والظالم من هؤلاء المؤمنين هم العوام لان المؤمن عند المعصية يضع نفسه في غير موضعها حال المعصية ، قال

صلى الله عليه وسلم : لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، وهذا مغفور له بعد المتاب ، لقوله صلى الله عليه وسلم ظالمنا مغفور له .

وهذا بخلاف الكافر فانه يضع قلبه الذى به اعتبار الجسد في غير موضعه ، فهو ظالم لنفسه غير مغفور له ، واما قلب المؤمن فمطمئن بالايمان لا يضعه فى غير التفكر فى آلاء الله ولا يضع فيه غير محبة الله تعالى واما المقتصد من هؤلاء المؤمنين فهو العالم بكتاب الله والموحد الذى يمنع جوارحه من المخالفة بالتكليف والسابق هو المؤمن الذى ينسيه التوحيد عن التوحيد .

فاذا علمت هذا نقول لك اذا احببت ان تعلم من اى حزب انت من هذه الاحزاب فاذكر عند ذكرك فى محل قوله تعالى : انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم . فان وجل له قلبك وخشعت لعظمته جوارحك كالذين تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ، فاعلم انك من حزب الله الذين اشترى انفسهم بان لهم الجنة ، وان لم يخشع له قلبك ولم تخضع له جوارحك وكان ذكرك مثل ما اذا قلت (الحائط او الجدار) فاعلم انك من حزب اولائك الذين اشتروا الظلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ، وذلك لعدم تسرب انوار الذكر الى القلب فويل للقاسية قلوبهم وان من لم يكن له نصيب من قوله تعالى : انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم . فاى شئ يكون نصيبه اذا قال : الله او لا اله الا الله وهو غافل القلب ، هل يكون له فى ذلك نصيب ؟ كلا .

وان من خلا قلبه عن نصيب « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت

قلوبهم » فاي فرق بينه وبين عابد الصنم او الصليب واى فرق بينه وبين الحجر او الصخر « ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة » اذا كان هذا قلب المؤمن فكيف يكون قلب الكافر ، اذا كان هذا قلب الموحد فكيف يكون قلب الجاحد ، اذا كان هذا قلب الذاكر فكيف يكون قلب الغافل ؟ اولائك هم الغافلون . متى ينتبه المسلمون من سنة غفلتهم ويصحوا من خمار سكرتهم . فيفهموا ماتذكر ويعلموا ماتقول ، تقول امروا بالفهم والذكر كما امروا بالعلم والقول فما لم يعلموا لا يقولوا وما لم يفهموا لا يذكروا

وانت ايها المخاطب اذا قلت : لا اله الا الله وانت غافل القلب غائب الفهم شاهر السر فلست بذاكر « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » واذا ذكرت فكن كلك قلباً واعياً واذا نطقت بذكره فكن كلك لساناً واذا سمعت فكن كلك سمعاً والا فانت كمن يضرب بالحديد باردا ، لايلين له الحديد ولا يتمطى هذا شأن من ذكر الله تعالى ولم تكن تخشع لما ذكر جوارحه . وان من كان كذلك فلا يكون مسلما عندنا .

اعلم ان الله تعالى . انما ارسل الرسل الى عباده ليبينوا لهم السعادة والشقاوة واسباب كل واحد منهما . وما كان حقيراً وما كان باقيا دائما وذلك فضلا منه تعالى ورأفة من عنده بعباده . نعم علموا الخلق كل ذلك ليتبعوا الهناء والبقاء ويتركوا ما فيه الشقاء والفناء . وان من الامور الحقيرة التي بينها لنا الاله الاعظم على لسان انبيائه حقارة حال الدنيا وكمال حال الآخرة التي يناديها منادي الفلاح مساء صباح على ترك

نعيم الاولى واقتفاء سبيل الحق الموصل الى الاخرى .

اما حقارة الدنيا فهي بينة من قوله تعالى ، يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع ، يعني يستمتع بهذه الحياة الدنيا في ايام قليلة ، ثم تنقطع وتزول واما الآخرة فهي دار القرار والبقاء والدوام ، لا يزول نعيمها ولا يأفل خيرها ، وحاصل الكلام ان الآخرة باقية دائمة ، والدنيا منقضية منقرضة ومعلوم بداهة ان الدائم خير من المنقضي ، حتى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهباً فانياً والآخرة خزفاً باقياً لكانت الآخرة خيراً من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق .

اجل ان الآخرة كما ان النعيم فيها دائم باق فكذلك العذاب يكون فيها دائماً لا يعتريه نقص ولا زوال ، وان الترغيب في النعيم الدائم والترهيب عن العذاب الدائم من اقوى وجوه الترغيب والترهيب ، فاذا علمت هذا نقول لك ان من اقوى اسباب الترغيب والطريق الموصل الى سعادة الآخرة والرفول بنعيمها الدائم الذي شوقنا الله اليه بكتابه وهددنا فيما لو تركناه باشد عقابه ، هو الايمان الذي به نتنعم وبضده نعوذ بالله تعالى تكون من اهل الشقاوة والنقم .

اعلم ان الله تعالى وعد المؤمنين عشر كرامات ، احدها المغفرة ، قال الله تعالى ، للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمؤمنين الايمان وتركوا الكفر ، ثانيها ، الامن قال تعالى ، الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون ، ثالثها ، الهداية قال تعالى : ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ، رابعها ، الزيادة :

قال الله تعالى للذين آمنوا الحسنى وزيادة ، خامسها الفلاح قال الله تعالى اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ، وقال الله تعالى : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ، سابعها الشفاعة قال الله تعالى ، يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا ، يعني قول لا اله الا الله ، ثامنها اصلاح الاعمال ، قال الله تعالى ، يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ، تاسعها البشرى قال الله تعالى وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، عاشرها ، سماع كلام الله تعالى ورؤيته ، قال الله تعالى سلام قولا من رب رحيم وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة .

فهذه هي الكرامات العشر التي وعدها الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين القائلين لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتي من قالها قلباً ولساناً دخل الجنة ، قال صلى الله تعالى عليه وسلم ، من كان آخر كلامه من الدنيا لا اله الا الله دخل الجنة ، فهي واجبة على المكلفين كافة من بني آدم من جميع الملل والنحل الى ان تغلق باب التوبة وذلك يوم لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ، نعم قلنا ان كلمة التوحيد اذا كانت آخر كلام المرأ من الدنيا دخل بها الجنة لانها هي الكلمة العالية والشريعة الغالبة من استمسك بها فقد سلم ومن اعتصم بها فقد عصم وقد جاء ما يؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله .

فاذا قالوها الى آخر ما جاء ، وهذه العصمة تكون ذات فائدتين دنيوية

وهى عصمة الاموال والانفس لمن نطق بها واخروية وهى ان كلمة لا اله الا الله حصن منيع لصاحبه لا يتحول ولا يتزلزل لقوله فمن قال لا اله الا الله دخل حصنى ومن دخل حصني امن من عذابى ، وكما كان لكلمة التوحيد فائدتان فكذلك لها نتيجة وثمرة تعود على صاحبها فالنتيجة هى مفرقة الوحدانيـة وثمرتها الاقرار بالفردانية وهذه هى روح العبـادة المطلوبة من الانسان لقوله تعالى ، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون .

عبدى خلقت من اجل التوحيد وخلقت الاشياء كلها من اجلك من العالم السفلي والعالم العلوي وما بينهما من الموجودات من الحيوانات والنباتات والجمادات والسماء تظلك والارض تقلك والملائكة تحفظك والنيران العلوية تنير عليك والموجودات السفلية محل تصرفك ، فالكل مخلوق من اجلك وانت مخلوق من اجل التوحيد فكل الخلق خلقوا لاجل معرفة الوحدانية والاقرار بالفردانية ، كنت كنزاً مخفياً لا اعرف فخلقت الخلق لاعرف عبـدى خلقت الاشياء كلها من اجلك وخلقتك من اجلي فاشتغلت بما خلقت لك عني اذ اشـتغلت بالنعمة عن المنعم وبالعطاء عن المعطي فما اديت شكر نعمته ولا راعيت حرمة عطـاء كل نعمة شغلتك عني فهى نقمة ، وكل عطية الهتك عني فهى بلية .

اعلم وفقك الله انه لما كان المكلف مجبوراً على معرفة الله تعالى ، بالنظر والاستدلال وجب عليه القاء نظره على ما حوته السماء من الاجرام والارض وما فيها من الجبال والبحار والانهـار والطيور والاشجار وغير ذلك وجول الفكر في كل ما ظهر وغاب ليتجلي له وجوب وجود

رب الارباب ، ثم مات بعد تتميم النظر والاستدلال في معرفة الله تعالى جل وعلى وكان لم يجد من الوقت ما يمكنه ان يقول فيه كلمة لا اله الا الله فهاهنا لاشك انه يموت مؤمناً لانه ادى ما وجب عليه ولم يجد مهلة التلفظ بهذه الكلمة الطيبة فاذا تمم النظر والاستدلال بما في السماء وما حوت ، والارض وما جمعت فى معرفة الله تعالى ، وكان قد وجد من الوقت ما امكنه ان يقول فيه لا اله الا الله ثم انه لم يقل ومات فهذا الشخص هل مات مؤمناً ام لا ففيه خلاف فمن الناس من قال انه مات كافراً وحجتهم ان صحة الايمان متوقفة على التلفظ بهذه الكلمة الطيبة عند القدرة عليه ، ومنهم من قال انه مؤمن وحجتهم انه حصل العرفان التام له ، وفاسق لانه كان مأموراً بذكر هذه الكلمة وما ذكرها وان ما يؤيد حجة القائلين بانه مؤمن قوله عليه الصلاة والسلام ، يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا الشخص قلبه مملوء من الايمان ، فكيف لا يخرج من النار ومن الناس من قال بتطويل المدة في كلمة (لا) من قولنا لا اله الا الله مندوب اليه مستحسن .

لان المكلف في زمان التمديد يستحضر في ذهنه جميع الاضداد والانداد ونفيها ثم تعقب هذه الكلمة بقوله (الا الله) فيكون ذلك اقرب الى الكمال والاخلاص ، ومنهم من قال بل ترك التمديد اولى لانه ربما مات فى زمان التلفظ بـ(لا) قبل الانتقال الى كلمة (الا لله) ، والذي عندي وما هو اجتهادي ، ان المتلفظ بهذه الكلمة ان كان يتلفظ بالتنقل بها

من الكفر الى الايمان فترك التمديد اولى حتى يحصل الانتقال من الكفر الى الايمان على اسرع الوجوه ، وان كان المتلفظ بها مؤمناً ، يذكرها لتجديد هذه الكلمة فالتمديد اولى حتى يحصل في زمان التمديد صور الاضداد والانداد على التفضل في الخاطر ونفيها ثم يعقبها بقول (الا الله) فيكون الاقرار اذذاك بالالهية اصفى واكمل .

اعلم هداك الله تعالى ، ان الناس في قول لا اله الا الله على مراتب وطبقات ، فادناها طبقة من قالها لحقن دمه واحراز ماله على ما اقتضاه موجب قوله عليه الصلاة والسلام ، امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لااله الاالله فاذا قالوها عصموا مني دمائهم واموالهم الابحقهاوهذه درجة يشترك فيها المخلصون والمنافقون وكل من تعلق بهذه الكلمة نال من بركتها شيئاً واحرز حظاً من فضلها وفائدتها ان طلب بها الدنيا نال الامن فيها والسلامة من آفاتها وان قصد بها الآخرة جمع بين الحظين واحرز بها السعادة في الدارين .

والطبقة الثانية الذين ضموا الى القول باللسان الاعتقاد بالقول على سبيل التقليد ، اعلم لاقول لك هنا ان الاعتقاد التقليدي لا يكون علماً وذلك لان العقد ضد الانحلال والانشراح ، والعلم عبارة عن انشراح الصدر قال تعالى : أفمن شرح صدره للاسلام ، فثبت ان صاحب التقليد لا يكون عارفاً ولا عالماً ، وفي هذا اختلاف مشهور بين الامة الطبقة الثالثة الذين ضموا الى الاعتقاد بالقلب معرفة الدلائل الاقناعية المقوية لذلك الاعتقاد لا ان تلك الدلائل برهانية يقينية اقناعية ظنية

الطبقة الرابعة الذين اكدوا تلك العقائد بالدلائل القطعية والبراهين اليقينيـة ، الا انهم لا يكونون من ارباب المشاهدات والمكاشفات ، حتى ولا من اصحاب التجلي وارباب مطالع الانوار الالهية .

اعلم ان الاقرار باللسان له درجة واحدة لكن الاعتقاد بالقلب له درجات مختلفة بحسب قوة الاعتقاد وضعفه ودوامه وعدم دوامه وكثرة الاعتقادات وقلتها ، فان المقلد ربما كان مقلداً في مجرد ان الله تعالى واحد وربما زاد عليه ، وكان مقلداً في ذلك وفي ان صانع العالم عالم وقادر ثم اعلم انه كلما كان وقوف الانسان على هذه المطالب اكثر كان تشوش امر التقليد عليـه اكثر ، والآن اذكر لك ايها الاخ العزيز ما ورد في الحديث الصحيح والنقل الوارد الصريح عن سيد البشر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال الشيخ الامام كمال الدين احمد ابن محمد الغزالي رحمه الله تعالى ، ورضي عنه وارضاه ، قال ذلك خبراً عن الله تعالى : لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن من عذابي ، قال الشيخ الامام كلمة لا اله الا الله هي الحصن الاكبر ، وهي علم التوحيد ومن تحصن بحصنها فقـد حصل سـعادة الابد والنعيم السرمد ، ومهما لم تكن هذه الكلمة حصناً دائراً على دائرة قلبك وروحها نقطة تلك الدائرة . وسلطانها حارس يمنع نفسك وهواك وشيطانك من الدخول الى تلك والا فانت خارج الحصن ومجرد قولك لا يزن مثقال ذرة ولا يعدل جناح بعوضة فانظر ما هو نصيبك من هذه الكلمة فان كان نصيبك روحها ومعناها اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وهو نصيب

سيد الخلائق محمد صلى الله عليه وسلم ومأة الف نبي ونيف وعشرين الف نبي صلى الله عليهم وسلم اجمعين .

وقد حزت ذخر الكونين وفزت بسعادة الدارين وكتبت في جريدة الاولياء وزمرة عالم الفضل فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما . وان كان نصيبك منها مجرد لقلقة اللسان ، قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ، فهو نصيب عبد الله بن أبي ابن سلول ومأة الف منافق ، اذا جاءك المنافقون قالوا آمنا ، فقد صرت شقيا خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ، وكتبت في جريدة الاعداء في جملة عالم العدل ، ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ، لا اله الا الله حصن نصبوا عليه منجنيق التكذيب ورموه بحجارة التخريب وتظاهروا على هدمه بمعاول الشقاق والنفاق فدخل عليهم العدو فطمس معالمه ودرس مراسمه وشوش مسكن الملك ومحل نظره وسلبهم المعفا وزكهم الصورة .

ان الله لا ينظر الى صوركم وانما ينظر الى قلوبكم سلبوا معنى لا اله الا الله فبقي معهم لقلقة اللسان وقعقعة الحروف وهو ذكر الحصن ، وكما ان ذكر النار لا يحرق وذكر الماء لا يغرق وذكر الخبز لا يشبع وذكر السيف لا يقطع فكذلك الحصن لا يمنع يعني ذكر لفظة الحصن بدون عمل صالح لا ينفع صاحبه قطعا .

اذا سلطت سلطان التوحيد سلطان لا اله الا الله على مدينة وجودك وادخلته بجوف جسمك ، لم يبق في دائرة دارك دار ولم يسلكها احد

من الاغيار ولم يبق معه اهلها اذلة فيصير عز كبرك تواضعا وعز كثرتك قلة وعز وجودك محواً وعز بقائك فناء .

كما تتبدل كل صفة مذمومة بصفة محمودة وتنقل من عز هو ذل الى ذل هو عز وتقطع منها شجر صفاتك المذمومة ويزول عنها عوسج الكفر والتعطيل ويذهب منها شوك التشبيه والتمثيل بتنوع صفاتك المذمومة وبالايمان والتوحيد والتنزيه والتقرب فتتنوع صفاتك المحمودة والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ، فقد ظهر لك ان كل سلطان لولايته امد معدود وحد محدود الا سلطان لااله الا الله فان ولايته ثابتة ابدالآبدين باقية السرمد شملت الاولين والآخرين طائعين وكارهين وعمت اهل السموات والارض ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا ولكن اتى عبداً طوعا وشوقاً ومحبة .

وعبداً اتى كرهاً وسوقاً وقهراً وقسراً ولله يسجد من في السموات والارض طوعاً وكرهاً ، واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الى قوله تعالى قالوا بلى فعالم الفضل قالوا بلى وعالم القول قالوا بلى كرهاً ، اخرجهم من ظهر آدم عليه السلام ، على هيئة الذر ثم فرقهم فرقتين وجعلهم عالمين عالم الفضل عن يمينه وعالم العدل عن شماله ثم خلق لهم الفهم والسمع والنطق ثم خاطبهم واشهدهم على انفسهم فاقر الكل بالوحدانية واذعنوا بالفردانية فقالوا بلى ، فعالم الفضل قالوا بلى طايعين مسارعين وعالم العدل قالوا بلى كارهين متثاقلين ثم اخذ شهادة كل واحد لما شهد على نفسه ، ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ، فلما خرجوا من عالم

القدرة الى عالم الحكمة ظهر من كل واحد ما كان يضمره من توحيد وجحود فعالم العدل قالوا بلى مع اعتقاد الجحود فخانوا العهد وضيعوا الميثاق.

فبرز تعنت القدم لعالم العدل بالقدح فيهم والازدراء عليهم. فقال الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ثم فى عرصات القيمة اذا بسط الصعيد يظهر سلطان (بلى) على كل العالمين فشهد لعالم الفضل بالامانة وشهد على عالم العدل بالخيانة ثم ينشر لكل واحد كتابا اقراره وشهادته على نفسه (ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم حسيبا).

والخلاصة ينبغى للمسلم العاقل اذا اراد التحصن بقول لا آله الا الله والامان من عذاب الله فعليه بالجمع بين القول والعمل مقرونين مع الاعتقاد الصحيح والا لم يغنه مجرد القول الخالى عن كليهما، حيث انك كنت قد علمت لم يجئ حديث بالقيل والقال، ما احترق لسان احد قط من قوله نار لا ولا استغنى احد بقوله الف دينار، القول قشر والمعنى لب، القول صدف والمعنى جوهر ماذا يصنع بالصدف مع فقدان الجوهر هذه الكلمة مع معناها بمنزلة الروح من الجسد، وكما لا ينتفع بالجسد دون الروح فكذلك لا ينتفع بهذه الكلمة دون معناها، فعالم الفضل اخذوا هذه الكلمة بصورتها ومعناها فزينوا بصورتها ظواهرهم وبنوا بمعناها بواطنهم فحصل لهم خير الدنيا وبرز لهم شهادة القدم بالتصديق (شهد الله انه لا اله الا هو واولوا العلم قائماً بالقسط) وعالم العدل اخذوا هذه الكلمة بصورتها

دون معناها فزينوا ظواهرهم بالقول وبواطنهم بالكفر وقلوبهم مسودة مظلمة فحصنوا بها اعراضهم في الحياة الدنيا وغدا يأتيهم ريح من صوب القدر يطفى ذلك النور فيبقون في ظلمة كفرهم .

(ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) وبدت لهم شهادة القدم عليهم بالتكذيب (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) ترى اذا قلت لا آله الا الله وانت عابد لهواك ودرهمك ودنياك ماذا يكون جوابك كذبت عبدى لانك لم تأت بما امرت ولكن كان قولك (كالذين يقولون ما لا يفعلون كبر مقتا عند الله) وانت عابد هواك افرأيت من اتخذ آلهه هواه وانت عابد دنياك ودرهمك تعس عبد الدنيا وتعس عباد الدرهم تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس ما دمت تقول لا آله الا الله ، وانت تسكن الى اهل ووطن وتركن الى مال وسكن فلست بقائل كل قول كذابه بفعل فهو مردود ، ولسان الحال افصح من لسان المقال

ان كان قولك لا آله الا الله ثمرة معنى فى القلب فلم تعوذ بفلان وتلوذ بفلان وترجوا فلانا وتخاف فلانا ما دمت تقول لا آله الا الله وتأنس الى غيرنا فلسنا لك ولست لنا من كان لله كان الله له (وكانوا لنا خاشعين وكنا لهم حافظين) كانوا لنا كنا لهم ، ياعبدى لم تلوذ بغيري وازمة الامور كلها بيدى انا مالك الملك اتصرف في ملكى بحق ملكى لا يكون فى ملكى الا ماشاء ولايقع في الكون الا ما اريد فلا تلذ بسواى ولاتقنط من رحمتى فانه لا يقنط من رحمتى الا القوم الكافرون ولا يأمن مكرى الا خاسر انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون

اعلم وفقك الله ان ثمرة التوحيد تختلف باختلاف مساكنها . فاذا ان لا اله الا الله ان كان مسكنها اللسان ولا ثمرة لها في القلب فانت منافق وان كان مسكنها منك القلب فانت مؤمن وان كان مسكنها منك الروح فانت عاشق وان كان مسكنها منك السر فانت مكاشف ، فالايمان الاول هو ايمان العوام والثاني ايمان الخواص والايمان الثالث ايمان خواص الخواص فالاول خبر صدق مجرد والثاني ثمرة بصيرة وانشراح والثالث ثمرة مشاهدة ومكاشفة ، واياك بني ان تكون مؤمنا بلسانك دون قلبك فتنادى هذه الكلمة في عرصات القيمة : الذى صحبته كذا وكذا سنة منافق .

اعلم ان تشبيه القلب بالبيت والروح بالقفص والطير بالسر ، تشبيه مجازي من جهة الحس تقريبا لفهمك واشارة الى انه لا وصول الى عالم الارواح الا بعد العبور عن عالم الارواح والا فالحقيقة بالعكس من ذلك فان عالم الارواح اكبر من عالم القلوب ، وعالم الاسرار اكبر من عالم الارواح وانما مثله الحقيقي ثلاثة دوائر بعضها محيط على بعض فالدائرة الكبرى عالم الاسرار والوسطي عالم الارواح والصغرى عالم القلوب فعالم القلوب اصغر من عالم الارواح لان عالم القلب اقرب الى عالم الغيب والشهادة من عالم الارواح وكان عالم الارواح اصغر من عالم الاسرار لان عالم الارواح اقرب من عالم الاشباح من عالم الاسرار .

وكلما كان الى عالم الاشباح اقرب كان الى الصغير اقرب وكلما كان منه ابعد كان الى الكبير اقرب . لان عالم الاشباح عالم الضيق والحرج والزحمة

وعالم الارواح والاسرار عالم النفسحة والروح اصغرهما هو اقرب الى عالم الملك والملكوت والسعادة كان اكبر مما هو اقرب الى عالم الغيب والشهادة وهو الاسرار ، فافهم امدك الله بالفهم ، هل لك يا هذا فى هذه السماء نجم او من هذه البحار قطرة كلا والله بل نفس مستولية ، وبشرية غالية وطبع ظاهر ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها فاخرج من عالم النفس الى عالم القلب ومن عالم السر ومن ظلمة وجودك اليه فشاهد مالاعين رأت ولا اذن سمعت (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين) .

عالم الغيب وعالم البشرية وعالم الطبيعة مهاوى ودركات لعالم العدل او عالم القلب وعالم السر وعالم الروح معارج ودرجات ، لعالم الفضل فعالم النفس درك للعاصين وعالم البشرية درك للكافرين وعالم الطبيعة درك المنافقين ، ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار واما عالم القلب فمعراج المريدين وعالم الروح معراج المعتقدين وعالم السر معراج المريدين وان شئت قلت عالم القلب معراج اهل البادية وعالم الروح معراج اهل التوسط والكفاية وعالم السر معراج اهل الوصول والنهاية ووجه آخر ان عالم القلب معراج التوابين وعالم الروح معراج المحبين وعالم السر معراج العارفين .

مهما لم ترق من خصلتين طبعك وبشريتك ونفسك لا تصل الى عالمهم فاذا ترقيت من درجة طبعك وبشريتك ونفسك فحينئذ يستقبلك تصرف الحق فيك ، قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء

فتارة يقلبه من قبض الى بسط ومن خوف الى رجاء ومن بقاء الى فناء ومن صحو الى قهر ومن طرب الى حزن وتارة بعكس هذه الاحوال وبتغيير هذه الاوصاف وهو ابدا بين قبض وبسط وخوف وفناء ومحو وصحو وطرب وحزن، تارة يجذبه عنه ويوصله الى اعلى مراتب السائرين اليه وتارة يرده عنه فيتوقف في ادنى منازل المنقطعين عنه جذبة من جذاب الحق توازى عمل الثقلين .

اعلم ان هذا التعدد والتنوع في احوالك ايها المريد يرجع اليك لا الى تصرف الحق فيك فانه منزه عن التعدد والتنوع والتغير وهو واحد في ذاته وصفاته علمه واحد وهو محيط بجميع المعلومات وقدرته واحدة والمقدورات متعددة وتصرفه فيك واحد وتصرفاتك فيه متعددة وذكر الاصبع على جهة الاثنينية اشارة الى سرعة القلب من حال الى حال والا فهو مقدس عن ان يكون جسما او جوهراً او عرضاً بل هو خالق الاجسام والاعراض فلو كان جسماً لكان مؤلفاً ، وهو سبحانه وتعالى مؤلف الاشياء ، ليس بمؤلف لو كان جسماً لكان مكيفاً وهو سبحانه وتعالى ليس بمكيف ولو كان مصوراً لاحتاج الى مصور وهو تعالى مبدع التأليف والتكييف والتصوير «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» ولو كان عرضاً لاقتصر الى محل يقوم به وهو تعالى منزه عن ان يحل في شيء او يقوم بشيء بل هو قبل كل شيء كان ولا مكان ولا انس ولا جان ولا سماء ولا قمر ولا عين ولا اثر ولا حجر ولا مدر ولا ماء ولا شجر ولا فضاء ولا ضياء ولا ظلام ولا وراء ولا امام ولا يمين ولا شمال ولا

فوق ولا تحت ولا نبات ولا جماد كان قبل الاكوان وهو الآن كما كان ولا يزال على ممر الدهور والازمان قربه بغير اتصال وبعده بغير انفصال وفعله بغير جوارح واوصال بريء عن الاستقرار والانتقال وتعالى وتقدس عن التحول والزوال وتنزه عن الحلول فى المحال ، لا اله الا الله هو الكبير المتعال عن الوهم والحس والخيال ليس له شكل ولا تصوير ولا مثل ولا نظير ولا معين ولا ظهير ولا وزير ولا مشير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ليس له ند ولا حد ولا تحيط به الجهات ولا تغيره الحالات ولا تشبه ذاته الذوات ولا تشاكل صفاته الصفات تقدست ذاته عن سمات الكائنات وصفاته عن صفات الحادثات ، منزه القدم عن الحدث وتقدس القديم عن المحدث ان قيل كم فقد كان قبل الاجزاء والابعاض وان قيل كيف فقد كان قبل وجود الزمان ، وان قيل اين فقد كان قبل وجود المكان ، وسبق الاشياء وجوداً واخرجها من كتم العدم فضلا وجودا ، هو الاول والآخر والظاهر والباطن ، اول ليس قبله شيء وآخر ليس بعده شيء ظاهر لا يستره شيء واحد ليس كمثله شيء .

اعلم وفقك الله تعالى ان السالك له ثلاثة منازل فالمنزل الاول عالم الفناء والثانى عالم الجذبة والثالث عالم القبضة ، فاذا كنت فى عالم الفناء فواظب على قول ، لا اله الا الله واذا كنت فى عالم الجذبة فواظب على قول الله الله ، واذا كنت في عالم القبضة فواظب على قول هوهو ، وانما كان ذكرك فى عالم القبضة هوهو لانك ما دمت سالكا في عالم الفناء فالغالب عليك عالم وجودك العدلي ومادمت في عالم الجذبة فالغالب عليك

عالم وجودك الفضلي فاجعل ذكرك في عالم الفناء لا اله الا الله لان المستولي عليك عالم وجودك العدلي وصفاتك المذمومة واجعل ذكرك في عالم الجذبة الله الله لان المستولي عليك عالم وجودك الفضلي وصفاتك المحمودة لان كلمة لا اله الا الله خاصيتها في النفي والمحو وكلمة الله خاصيتها في التقوية والتبرية المحمودة ، ومادمت في عالم الفناء فانت الى النفس والمحو احوج لان الغالب عليك الصفات المحمودة ، اما اختصاص عالم القبضة بقولك هوهو لانك متى وصلت الى هذا العالم فقد ذهبت عنك كدورات صفاتك العدلية واشرقت عليك انوار صفاتك الفضلية واتصل بك نصرة الحق سبحانه وتعالى من غير واسطة وصوت معدوماً بالاضافة اليه فجعل ذلك فى هذا العالم هوهو لان الموجود هو .

ومعنى قولنا عالم الفناء ان السالك او المريد تفنى فيه نفسه ويبقى وجوده ويمحو صفاته المذمومة ، ومعنى قولنا عالم الجذبة انه قد وقع في جذبة الملك ومعنى قولنا عالم القبضة انه قد وقع في قبضة الحق تعالى فتصرف فيه من غير واسطة فهذه هي منازل السالك .

اعلم ان الولي من والى الله تعالى في جميع شؤونه وافعاله واقواله واحواله واخذه وعطائه وذهابه وايابه وقيامه وقعوده ، وكان قد هذب نفسه وجسمه وماحوى من كل محرم ومحظور وغيره فمن كان كذلك فهو فى زمرة الذين جاء المدح فيهم والثناء عليهم وهو (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون) فهؤلاء الكرماء لهم اربع مقامات لابد من التنبيه عليها ، الاول مقام خلافة النبوة والثاني مقام خلافة

الرسالة والثالث مقام خلافة اولي العزم للاوتاد ، والرابع مقام خلافة اولى الصفى ، فمقام خلافة النبوة للعلماء ومقام خلافة اولي العزم الرسالة للابدال ومقام خلافة اولي العزم للاوتاد ومقام خلافة اولي الاصفاء للاقطاب ، فمن الاولياء من يقوم في العالم مقام الانبياء ومنهم من يقوم مقام الرسل ومنهم من يقوم مقام اولي العزم ومنهم من يقوم مقام اولي الاصفاء ومنهم من يكون ولياً بمعنى ان الولي يكون منهم وذلك على وجهين الاول من ثبت له تصرفه وولايته على مصلحة دينه والوجه الثانى ليس له تصرف وولاية على مصلحة دينه بالقوة من ثبت له ولاية التصرف اوتصرف ولاية التصرف

فان قيل كيف يكون ولياً وليس له ولاية التصرف نقول يجوز ان يكون ولياً على معنى ان الله تعالى يتولى جميع اموره وهذا الولي ولي بالفعل ان سمع فبالحق يسمع وان ابصر فبالحق يبصر وان نطق فبالحق ينطق فهو مراد فى عالم المحبوبية والى ذلك الاشارة بقوله تعالى « كنت له سمعاً وبصراً الخبر » وهذا الولي لا يصلح ان يكون مربياً للخلق لانه فى قبضة الحق مسلوب الاختيار عن نفسه فلا يصلح ان يكون مربياً لغيره لان التصرف فى غيره يستدعى ولاية التصرف في نفسه وهذا الولي مجذوب في نفسه مسلوب التصرف فى غيره ، الا ترى فى عرف الشرع ان من ثبت له الولاية على نفسه ثبت له الولاية على غيره فالعاقل البالغ لما ثبت له الولاية على نفسه ثبت له الولاية على غيره والطفل اوالصبي لما ثبت له الولاية على نفسه لم تثبت له الولاية على غيره .

فالمجذوب في قبضة الحق بمنزلة الصبي الرضيع تتصرف فيه يد القدرة كتصرف والدة الصبي في ولدها فهو في حجر تربية المحبوب يرضع بلبن كرم الربوبية وهم طفال قهنا في حجر تربية اردتنا يرضعون بلبن كرمنا فاما الولي السالك يصلح ان يكون مربيا للخلق لانه بمنزلة البالغ الذي ثبت له الولاية على نفسه ومن كان له الولاية على نفسه جاز له الولاية على غيره ، واذا جاز ذلك في عرف الشرع جاز في عرف الحقيقة فان الحقيقة على وزن الشريعة والتفرقة بين الشريعة والحقيقة كفر وزندقة فمثال المجذوبين في مقام المحبوبية كمثل رجل سلك في طريق البادية مشدود العين ، فهو لايعرف موضع قدمه ولا يدري اين يذهب به ،

وهذا الرجل اذا قطع الطريق ووصل الى مراده وسئل عن منزل من المنازل لم يكن عنده علم ولا خبر وكما ان هذا الرجل لايصلح ان يكون دليلا في البادية فكذلك المجذوب لايصلح دليلا في طريق الآخرة كمثل رجل سلك طريق البادية وشاهدها وعرف منازلها ومراحلها وسهلها وخبيثها ويعرفها شبراً شبراً ، ويعلمها علماً وخبرا وكما ان هذا الرجل يصلح ان يكون دليلا في البادية فكذلك السالك في طريق الآخرة يصلح ان يكون في طريق الآخرة كاشف القلوب بقول (لااله الا الله) وكاشف الاسرار بقول (هو) و(لااله الاالله) قوة القلوب والله تعالى قوة الارواح وهو قوة الاسرار .

فلا اله الا الله مغناطيس القلوب والله مغناطيس الارواح وهو مغناطيس الاسرار ، والقلب والسر والروح بمنزلة درة في صدفة في حقة

او بمنزلة طائر في قفص فالحقة والبيت بمنزلة القلب والصدفة والقفص بمنزلة الروح والدرة والطائر بمنزلة السر فهما لاتصل الى البيت لاتصل الى الطائر وكذلك مهما لا تصل الى القلب لا تصل الى الروح ومهما لاتصل الى الروح لاتصل الى السر ، فاذا وصلت الى البيت فقد وصلت الى عالم القلوب ، واذا وصلت الى القفص فقد وصلت الى عالم الاسرار فافتح باب قلبك بمفتاح قولك لا اله الا الله .

نعم كما تفتح قلبك بذلك كذلك افتح باب روحك بمفتاح قولك الله واستنزل سر طائرك بفرطم قولك هو الله فان قول هو قوت لهذا الطائر واليه الاشارة بقوله تعالى : (ياموسى اجعلني طعامك وشرابك) وهذا التشبيه مجازي كما علمته فيما تقدم .

كلمة الاخلاص شجرة السعادة ، بل هي السعادة نفسها لانه لما كانت كلمة لااله الا الله هي الكلمة العالية والشريعة الغالية من استمسك بها فقد سلم ، ومن اعتصم بها فقد عصم كما قال عليه الصلاة والسلام (امرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الاالله فاذا قالوها) الى آخر ما جاء .

هذا توقيع العصمة الدنيوية ، واما توقيع العصمة الاخروية فهي كلمة لااله الا الله حصني فمن قال لااله الا الله دخل حصني ومن دخل حصني امن من عذابي ، سميت شجرة السعادة . وهذه الشجرة ان غرستها في منبت التصديق وسقيتها من ماء الاخلاص وراعيتها بالعمل الصالح رسخت عروقها واخضرت اوراقها واينعت ثمارها وتضاعف اكلها (تؤتي اكلها كل حين باذن ربها) ثمرة هذه الشجرة انما هي اليقظة والتوبة والزهد

والورع والتوكل والتسليم والتوفيض وكل صفة من الصفات الباطنة الروحانية وكل خصلة من لخصال لمحمودة لظاهرة لجسمانية تلك الشجرة (تؤتي اكلها كل حين)

ولكن تلك حسنها استة اشهر وهذه حسنها كل لحظة، ونفس ثمرة هذه الشجرة قوت لعالم القلب وثمرة هذه الشجرة قوت لعالم الارواح، وثمرة تلك الشجرة قوت لعالم الاشباح هذه قوت لعالم المعانى والاسرار وتلك قوت لعالم الصور والآثار، وان غرست هذه الشجرة في منبت التكذيب والشقاق وسقيتها من ماء الرياء والنفاق وتعاهدتها بالاعمال السيئة والافعال القبيحة وواعيتها بنقض العهد وتضييع الامانة طفح عليها غدير الغدر ولفحها هجير الهجر فتناثرت ثمارها وتساقطت اوراقها وانعكس ساقها وتقطعت عروقها وهبت عواصف القدر فمزقتها كل ممزق (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) من استظل بظل هذه الشجرة فقد سعد سعادة الابد ومن لا فقد شقى شقاوة الابد ومن تعلق بغصن من اغصانها رفعه الى اعلى الدرجات ومن لوى عنها رضم في ادنى الدركات.

اعلم انما اشهدك الله تعالى على نفسك لتعلمه بنسيانك (احصاه الله ونسوه) نعم اشهدك لتعلمه تعالى بانك ظلوم جهول، قال الله تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا) اشهدك على نفسك حتى لا يقبل انكارك بعد اقرارك ولما اشهدهم على انفسهم واخذ على كل العالمين العهد والميثاق واشترى من عالم الفضل انفسهم علماً منه بانهم يضعفون عن مجاهدتها

ومكايدتها قال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم بان لهم الجنة) وانما اشترى الانفس دون القلوب لان القلب لما كان لا يستعبده شيء من المخلوقات ولا يسترقه شيء من الموجودات، لانه لا يأنس الا بالحق ولا يطمئن الا بذكره، خلق عن رق الاغيار، فصار بمنزلة الحر والحر لا يباع ولا يشترى.

والنفس لما كانت تسكن الى الشهوات وتركن الى اللذات وتستعبدها كل شهوة وتسترقها كل لذة صارت بمنزلة العبد والعبد يباع ويشترى ويجوز عليه البيع والشرى، هذا رشح من اناء ظاهر الشرع ومزاج من العلم الظاهر، لان الكلام يجري على قدر مقدار الوقت، ان صفوت صفى الكدورات من حيث مزج والك جواب آخر، انما كان المشترى النفس دون القلب لان القلب مشتغل بالحق دون الخلق، والنفس مشتغلة بالخلق دون الحق فاشتريت لشغلها بالخلق عن الحق، وان شئت قلت لان النفس جبلت على صفات مذمومة وخصال سيئة.

وهي محل الآفة وموطن المخالفة والقلب جبل على صفات محمودة وخصال حسنة وهو موطن الطاعة والعبادة فاشترى النفس دون القلب لينقلها من الصفات المذمومة الى الصفات المحمودة ومن صفاتها الى صفات القلب حيث انها هي المطلوبة.

اعلم انه لما وضعت النفس في كفة البيع والشرى وجرى التسليم سلمها الحق تعالى الى الملك الموكل بها فالهمها قبول ما يلقى اليها من الخير، فالملك ابداً يدعوها اليه ويرغبها فيه ويحذرها من الشر ويرغبها عنه

الى ان تأنس به وتسكن اليه وتنقاد له ، فاذا سكنت اليه او انقادت له سلب عنها كل صفة مذمومة ويودع فيها كل صفة محمودة فتخرج من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة كل صفة مذمومة الى نور كل صفة محمودة .

فاذا خرجت عن ظلمة اوصافها ورجعت عن معاندتها وخلافها وانقادت للامر ورضيت به وسكنت له واطمأنت اليه حينئذ يدخلها فى زمرة عباده ، قال تعالى (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) اما عالم العدل فنافقوا في عالم القدرة وجحدوا في عالم الحكمة فلم تصلح ان تكون انفسهم محلا لشرائه فابعدها عن حفظه ، فسلمها الى الشيطان والهمها قبول ما يلقى اليها من الشر فهو ابداً يأمرها بالفواحش ويحسن لها الخبائث ويعرفها بها ويدعوها الى ما عجن ولت فى طينتها وجبل وطبع في اصل خلقتها من الانغماس فى الشهوات والتهافت على المعاصي والمخالفات حتى تعتبر شيطاناً ماردا لما يأمر به شاهداً فتصير ناهية عن كل فعل خيري أمارة بالسوء والفحشاء تنقبض عند ذكر الرحمن الرحيم ، فهذا هو الشيطان القرين ايها المريد فكن من اهل عالم الفضل الذين اشهدهم على انفسهم والهمهم التوحيد والتقوى بما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولاتكن من اهل عالم العدل الذين اشهدهم على انفسهم والهمهم الفجور والمعصية قال تعالى (فالهمها فجورها وتقواها) فعالم الفضل عاملهم بفضله فادناهم وعالم العدل عاملهم بعدله فاقصاهم عن رحمته تعالى .

لا تكن خائفاً من سوء العاقبة وانما الخوف كل الخوف من سوء السابقة ، ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة حالكة ثم رش عليهم بفضله من نوره فمن اصاب من ذلك النور اهتدى وكان من الفائزين ومن اخطأه ضل الطريق وكان من الغاوين ، نعم فمن اصاب من ذلك النور كان من عالم الفضل ومن اخطأه كان من عالم العدل . ولا يخطر ببالك ان ذلك النور عبارة عن شعاع ينبسط على صورهم ويتصل باشباحهم وانما هو عبارة عن النور الذي كان قد انبسط على تلك الارواح وهاتيك القلوب ، وما ذلك يا تُرى اليس هو نور الهداية الربانية (الله نور السموات والارض مثل نوره) في قلوب المؤمنين (كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري)

فالمشكاة هي بمنزلة بشريتك والمصباح بمنزلة توحيدك لله تعالى والزجاجة بمنزلة قلبك وتشبيه المشكاة بالبشرية لما في البشرية من الكثافة فهي محل ظل وسواد والمصباح كما كان في الظل والسواد كان اشد في الاشتعال والايقاد ، وتشبيه القلب بالزجاجة لما فيها من اللطافة ، فان الزجاجة شفافة لا تحجب عما وراءها من الاجسام تطرح الانوار على كل ما يقابلها ويجاذبها من الاجرام ، والقلب شفاف تتقد اشعة انوار التوحيد الى ما وراءه من الجوارح بدليل خشوع الجوارح بخشوع القلب .

وتشبيه الزجاجة بالكوكب الدري اشارة الى اشراقها واستنارتها والدري منسوب الى الدر وهو مبالغة في استنارته وصفاء جوهرته (توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) وذلك اكثر ارتقاء

واصفى لونها ، وكذلك شجرة التوحيد لا شرقية ولا غربية ولا معطلة ولا مجسمة ولا ثنوية ولا دهرية ولا وثنية ولا يهودية ولانصرانية ولا مشبهة ولا معتزلة ولا قدرية ولا جبرية، بل شجرة محمدية سلفية عربية ، وكما ان تلك الشجرة لاشرقية ولاغربية ولا ارضية ولاعرشية ولا فوقية ولا تحتية ولا علوية ولا سفلية ولا غير ذلك ، انفصلت عن الخلق وطارت في طلب الحق فهى عن الخلق منفصلة وبالحق غير متصلة فصارت لاشرقية ولا غربية ولا دنيوية ولا اخروية ولا يريدون لذة الدنيا ولا يريدون لذة الآخرة .

انما يريدون وجهه وان شئت قلت لا مشرقية ولا مغربية ، ايها الانسان فمن هم الذين حظوا بكل ما تقدم وبه خصوا دون غيرهم من بواقى الامم المسلمة هم اولئك العرب الذين ازالوا الظلمة بالنور والوحشة بالذكر والحبور ولا يسعك يا ترى الا ان لا ترغب فى الجنة ولا تخاف من النار ، كما كان شأنهم مجرد مرضاة الله ، وان شئت قلت لا مشرقية ولا مغربية ولا يغلب عليها الرجاء فتأمن مكر الله ولا يغلب عليها الخوف فتيأس من روح الله ، فهى واقفة بين الخوف والرجاء ، لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فهي لاشرقية ولاغربية (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) اى اصفائه واشراقه ، نور على ، الدهن على نور المصباح على نور الزجاجة ، (يهدى الله لنوره من يشاء ،)

كن ايها الانسان من اهل الارادة حيث انها عقد القلب على طلب معرفة الرب الارادة طلب المالك وترك المالك وترك ركوب المهالك ، الارادة

ترك الراحات والاعراض عن المباحات الارادة احتراق نيران الطلب احتراق الفراش فى نار الشمعة ، فان الفراش المسكين يتهافت على الوقوع في النار لعشقه بها ، والاحتراق بالنار كان حياة له هذا مع صغر شأنه وصغر مطلوبه يتلف بنفسه في محبوبه وانت مع كمالك وكمال محبوبك تتوقف فى بذل نفسك ومحو وجودك كأن السعادة الابدية متوقفة على وجودك ، وذلك المسكين متهالك على اتلاف نفسه فى مطلوبه ومراده وكأن حياته فى ابطال حياته وانت تسمع منادى القدم ينادي فوق سطح ذيل الازل بقوله تعالى:

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً) وانت من قصر شأنك في ارادتك دون الفراش لقوي الارادة ومن كان هكذا فليس بصادق في الارادة لابل ليس له نصيب فى الارادة فلابد من بذل نفسك ومحو وجودك اما نحن واما انت نفسك حجابك وقعودك حجابك مالم ترفع الحجاب فلا نحن ولا انت لسنا لك ولست لنا ان زال عنك وجودكان بك ابقيناك لوجود هو بنا من كان في الله تلفه كان على الله خلفه نفسك اقل من كل شيء ومرادك اجل من كل شيء فمالم تترك اقل شيء لاجل كل شيء فكيف تكون طالباً فكيف تكون مريداً انذل النفس وقدم المهجة (قدموا بين يدي نجواكم صدقة) هذا مهر الوصال ،

والا دون الوصال حد النصال ان كنت مريدا فانت مراد وان كنت طالباً فانت مطلوب وان كنت محبا فانت محبوب (وما تشاءون الا ان يشاء الله) يعبدا ما دمت مقبلا على غيرنا وملتفتا الى سوانا فواظب على

قول (لا اله الا الله) فانها تمحو منك المذموم، وتترك فيك المحمود. فان فيك وجودين وجود مذموم ووجود محمود، ووجود عدلي ووجود فضلي فوجودك المذموم من عالم العدل ووجودك المحمود من عالم الفضل وكل واحد من هذين العالمين يشتمل على اجزاء متعددة فوجودك العدلي يشتمل على سبعة اجزاء عدلية، وهي الحس والمشغل والهوى وكدورة النفس والبشرية والطبع والشيطان من وراء ذلك والفضلي يشتمل على ثمانية اجزاء فضلية وهي الحس والفهم والعقل والفؤاد والقلب والروح والسر والهمة والملك من وراء ذلك.

وكل جزء من اجزاء وجودك العدلي مقابل لجزء من اجزاء وجودك الفضلي فالحس يكون محمودا ويكون مذموما فالحس المحمود في مقابلة الحس المذموم والشغل في مقابلة الفهم والهوى في مقابلة العقل وكدورة النفس في مقابلة الفؤاد والنفس في مقابلة القلب والبشرية في مقابلة الروح والروح في مقابلة السر. والشيطان في مقابلة الملك واما الهمة فليس لها جزء من المذموم لانها جزء ثامن وانما كانت اجزاء الفضل ثمانية واجزاء العدل سبعة، لان كل جزء من هذه الجزئيات باب من ابواب وجودك، فجعل ابواب وجودك الفضلي ثمانية بعدد ابواب الجنة لانها دار الفضل.

وجعل ابواب وجودك العدلي سبعة بعدد ابواب النار، لانها دار العدل، قال الله تعالى (لها سبعة ابواب) فوجودك الفضلي هو الحسنة المعجلة وهو الجنة الصغرى ووجودك العدلي هو النار المعجلة وهو

جهنم الصغرى ، وكل باب من ابواب الجنة المعجلة ينفذ الى باب من ابواب الجنة المؤجلة ، وكل باب من ابواب النار المعجلة ينفذ الى باب من ابواب النار المؤجلة ، لكل باب منهم جزء مقسوم ، فان اشرق نور هذه الكلمة على جزء من اجزائك الفضلية ذهبت ظلمته التي تقابلها من اجزائك العدلية ، فان اشرقت على الروح ذهبت كلة البشرية ، وان اشرقت على القلب ذهبت كلة النفس وكذا سائرها ، فان اجزاءك الفضلية اللطيفة بمنزلة الجواهر الشفافة تطرح شعاعها على ما يقابلها ويجاذبها ،

مثال ذلك المصباح في قنديل والقنديل في زاوية او بيت مظلم فان نور المصباح يشرق على القنديل ونور القنديل يشرق على الزاوية او البيت المظلم ، فكذلك نور كلة التوحيد يشرق على جزئك الفضلي ونور التوحيد هو الذي اشار الله تعالى اليه بقوله (مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة) ومما يوضح لك ان المقابلة لها اثر في تعدي النور من محل الى محل آخر ، نور الشمس فانه ينبسط على جدار مثلا فيستنير بنوره الجدار الذي يقابله ، ثم يستنير بنور ذلك الجدار جدار آخر يقابله وعلى ذلك لا يزال النور يتعدى من محل الى محل بطريق المقابلة الى ان ينقشع ذلك الحجاب الكثيف وعندي وما هو اجتهادي في عباب هذا البحر الذي لا يعرف اوله من آخره الا نووه ان هذا التعدي ينقطع في العالم الغيبي واذا كان في العالم الغيبي كان في العالم العيني ، فان عالمك العيني محل لمحو من عالمك الغيبي ، فان كل ما في عالمك

الغيبي يكون فى عالمك العينى جزء منه ولهذا يقال لك العالم الاصغر واذا جاز ذلك في العالم الاكبر جاز في العالم الاصغر وقد يجوز ان يشرق نور هذه الكلمة مثلا على جزء من اجزائك الفضلية ثم يتعدى من ذلك الجزء الى سائرها مثل ان يشرق مثلا على الهيئة ثم يتعدى الى السر ومن السر الى الروح ومن الروح الى القلب الى ان يصل الى سائرها فان كل جزء من هذه الاجزاء مقابل لصاحبه وقد بينا ان المقابلة لها اثر فى تعدى الانوار، وانما ينقطع التعدى بحجاب كثيف وهذه لطيفة وليست بكثيفة فينبغى ان يتعدى من الجزء الواحد الى سائرها، فان كان هناك حجاب كثيف من آثار اجزائك العدلية فانه ربما منع تعدي النور الى ما وراءه وذلك في ضرب المثال بمنزلة نور الشمس فان الشمس في العالم العلوى في السماء الرابعة، ويصل شعاعها الى هذا العالم السفلى لان اجزاء السموات رقيقة لاتحجب وصول النور الى ما وراءها فلو قدر في مقابلتها جزء من اجزاء العالم السفلى او حجاب كثيف كالغيم وغيره لحجب شعاعها عن وصول النور اليك، فعالم وجودك الفضلي بمنزلة العالم العلوى وعالم وجودك العدلي بمنزلة العالم السفلى فقدر الهمة من العالم الفضلي بمنزلة العرش من العالم العلوى، وقدر الصفات السبع بمنزلة السموات السبع، وقدر صفات العالم العدلي السبع بمنزلة الارضين السبع وكما ان العالم العلوي في غاية اللطافة لا يحجب وصوله اليه من جزء الى جزء فكذلك العالم الفضلي في غاية اللطافة لا يحجب من ورائه نور من جزء الى جزء وكما ان العالم السفلى في غاية الكثافة يحجب وصول

النور من جزء الى جزء فالعالم الفضلي نور كله والعالم العدلي كله ظلمة فهما يتعاقبان كلما ذهب جزء من العالم العدلي اعقبه جزء من العالم الفضلي فهما في التعاقب بمنزلة الحركة والسكون والظل والشمس او الليل والنهار، كلما ذهب جزء من الليل اعقبه جزء من النهار وكلما ذهب جزء من النهار اعقبه جزء من الليل، قال الله تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) فليلك عالم وجودك العدلي ونهارك عالم وجودك الفضلي فان تكاثفت ظلمات الشرك من نفي (لا اله) على نهار وجودك الفضلي ذهب نوره وصار عدلياً، وان طلعت شمس الوحدانية من برج الفردانية في سماء (لا لله) على ليل وجودك الوجود العدلي ذهبت ظلمته وصار فضلياً فمسكن (لا اله) عالم وجودك العدلي ومسكن (الا الله) عالم وجودك الفضلي (فلا اله) ظلمة ومسكنه ومحله منك محل الظلمة (والا الله) نور ومسكنه منك محل النور فاذا اتصلت حدود (لا اله) باثبات (الا الله) انعكست انوار الاثبات على ظلمة النفي فصار الكل نوراً واثباتاً محضاً وذهبت ظلمة النفي بنور الاثبات، قال الله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) واذا ذهب النفي بنور الاثبات استنار به عالم وجودك العدلي وانقلبت اجزؤك العدلية فضلية، فصار الحس المذموم حساً محموداً وصار الشغل فيها والهوى عقلا وكدورة النفس فؤاداً والنفس قلباً والبشرية روحاً والطبع سراً والشيطان ملكاً.

لا تكن ممن يطلب الدنيا ويريدها وان كان مريدها كثيراً ومريد الآخرة قليلا اعلم ان مريد الحق عزيز خطير، وخطر المريد على قدر

خطر الإرادة ، وخطر الارادة على قدر المراد ، وخطر الخلق يسير ، فخطر ارادته يسير فخطر مريده يسير ، خطر الحق خطير ارادته خطيرة فخطر مريده خطير من اراد من الملك الدخول الى عرصة داره والجلوس على مائدة كرامته لا يكون كمن يريد من الملك جيفة ملقاة في اصطبل دوابه .

ومن اراد من الملك الجلوس معه على قربه في حجرة خلوته لا يكون كمن اراد منه الدخول الى دار ضيافته والخلاص من سجن مهانته المجاورة اثر ، بمجاورة الشريف يكتسب شرفاً ، ومن جالس الملك على بساط قربه فى حجرة خلوته ازداد شرفا ، لكل درجة ولكل مقام ، لهم درجات عند ربهم ، وما منا الا له مقام معلوم ، اقوام قاموا في عالم القبضة واستولت عليهم ظلمات عالم البشرية فعميت بصائرهم عن ارادة الاعلى فتعلقت ارادتهم بالادنى وثبتت هممهم بحظوظ الدنيا التى عبر عنها بجيفة ملقاة في اصطبل الدواب فحبطت اعمالهم وخابت آمالهم وعذبوا بعذابين عذاب الغرقة في الحال وعذاب الحرقة في المآل قال الله تعالى (اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون)

واقوام اجتهدوا فى مفارقة الطبيعة والخلاص من ظلمة عالم البشرية فاشتغلوا في الرياضة وتزكية النفوس والطهارة فارتقوا عن تلك الدرجة وعلوا عن تلك الرتبة غير انهم بقيت عليهم بقية من عالم الطبيعة البشرية فلم تكمل ارادة الحق فوقفوا مع ارادة الخلق ، فقوم غلب عليهم الرجاء فتعلقت ارادتهم بالجنة وهى دار الكرامة وهؤلاء قوم

اشتغلوا بالعالى عن الاعلى وبالكامل عن الاكمل وبالشريف عن الاشرف وهذه فرقة ان لم يعذبوا في المآل بنيران الحرقة ، فقد عذبوا فى الحال بنيران الغرقة ونيران الغرقة عند الاحباب هى اشد عذاباً

اقوام فارقوا عالم الطبيعة وطاروا عن عشر عالم البشرية لم يبق عليهم من رسومهم بقية فجازوا الاكوان وعبروا الموجودات وغابوا عن الخلق فتعلقت ارواحهم وارادتهم بالحق فهو مرادهم ومقصودهم ، ولسان الحق عليهم «مالنا والاشتغال بالدنيا والعقبى ، مالنا والاشتغال بالجنة والنار لانشتغل بدنيا ولابجنة ، لانا ان رضي عنا فهو قادر على ان ينعمنا فى النار ، وان غضب علينا فهو قادر على ان يعذبنا فى الجنة ، ولو عبدناه رغبة فى جنته اورهبة من ناره لكنا ممن يعبده على حرف » وقد غاب ذلك على اقوام فقال سبحانه وتعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) فيعبده لالسواه يريدون وجهه حصل لهم الملك ملك الدنيا وملك الآخرة ، فهم الملوك في زى المساكين ، من ادعى محبته كيف يشتغل عنه بلذيذ الطعام والشراب ، من اشتغل بنعيم الجنة فهو كذاب ، ان قاموا فيه وان قعدوا عليه يتكلون ، وان نطقوا ففيه ينطقون وان اخذوا فمنه يأخذون ، وان نظروا فاليه ينظرون ، وان غمضوا فعليه ، به يسمعون وبه يبصرون وبه ينطقون وبه يبطشون واليه الاشارة بقوله تعالى (كنت له سمعاً وبصرا ويدا ، بى يسمع وبي يبصر وبي يبطش) الى آخر ما جاء فى الخبر ، ما جعله لغيرهم وعدا اعجل لهم به نقدا ، يشاهدون عينا وهم في زواياهم وعلى سجاداتهم ، نعم لهم ذلك وهم في المشرق والمغرب

وهم في العرش وان لم يعرجوا باشباحهم فقد عرجوا بارواحهم وان لم يشاهدوا الحق بابصارهم فقد شاهدوه باسرارهم وهم صفوة الحق ومقصود الكون من الخلق، بهم يرزقون وبهم يخلقون. خلصوا لله تعالى في العبودية والتوحيد وصدقوا في الارادة والتجريد فطوبى لهم لابل طوبى لمن آمن بهم، ولقد عاتب الحق سبحانه وتعالى نبيه سيد الخلق في مثل حالهم باشد العتاب بقوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شيء)

ايها الولد الصالح ان اردت الله تعالى ورضيت ان تكون له عبدا .فلا يكون اكبر همك في الدنيا الاكل والشراب واعتناؤك باللبس والفراش بل كن كما كان عليه سيد البشر صلى الله عليه وسلم، كان لا يريد الا الله ولا يهدى الا الى الله، كان لا ينام الا على الاديم او على الحصير ولا يأكل الا ما تيسر من كسيرات الخبز كما هو مفهوم من قوله عليه الصلاة والسلام لعمر حينما رأى اثر الحصير في جلده الشريف (مالى وللدنيا ما مثلى ومثل الدنيا الا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار ثم راح وتركها)

وقوله عليه الصلاة والسلام (اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تفرغ من دلوك في اناء المستسقي وان تلقى اخاك ووجهك اليه منبسط، اياك واسبال الازار فان اسبال الازار من المخيلة ولا يحبها الله وان امرء شتمك وعيرك بامر هو فيك فلا تعيره بامر هو فيه ودعه يكون وبال ذلك عليه واجره للمشتوم لا تسبن أحدا) نعم كن كذلك كما يلزمك

العمل بما علمت لقوله عليه السلام (من عمل بما علم اورثه الله العلم بما لم يعلم) فعليك ايها الانسان السعي وراء تحصيل العلوم واخذ الحظ الاوفر منها كما يلزمك اشغال نفسك بالرياضة والتفكر في مخلوقات الله تعالى لتكون من اهل الحكمة والبصيرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ، (من أخلص لله اربعين صباحا اظهر الله تعالى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) الخلاصة ان التفكر والرياضة وفق العلم هو المطلوب من الحديث الا ما كان مخالفا له كما يفعله الجهال ويحسب انه هو التفكر ، اجل ان المتفكر اذا سلك سبيل الصواب سبيل العلم والعرفان كان من ذوى الالباب وتفتح عليه فتوحات الغيب في قلبه فيصير عالما كاملا عاقلا ملهما مؤيدا واليه الاشارة بما جاء عنه صلى الله عليه وسلم (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة) وانما كانت قيمة التفكر في مخلوقات الله تعالى العلوية والسفلية وغيرها من الاجرام والبحار والانفس والابدان ليتوصل الى الغاية ولعمر الحق ما خلق البشر كله الا لاجلها وهى معرفة الله تعالى وليكون على بصيرة من انه ما جاء مهملا بل عليه مهيمنا نجب عبادته وتلزم مقاربته ومتابعته بكل مايليق بجلاله وبحسن بكماله .

(ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والله ولى المؤمنين) وناصر الموحدين انه حسبنا ونعم الوكيل ، ولنجعل هذا آخر الرسالة ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين الى يوم الدين

هو العالم العلامة، الرأس، صدر علماء العراق وامام الائمة على الاطلاق، مقتدى الامة زبدة المتقدمين وعين قلادة المتأخرين، الفاضل الاديب والمنشىء اللغوى العجيب، قاضي القضاة ابو عبد الرحمن العلامة الشيخ محمد محسن ابن العلامة قاضي سامراء والدور العليا وتكريت الشيخ محمد صالح العباسي، ولد رحمه الله تعالى سنة تسع وخمسين بعد المائة والالف الهجرة ببلدة الدور العليا وتربى فى كنف المرحوم والده تربية الملوك ثم قرأ القرآن وتأدب بآدابه على بعض الافاضل المشهورين من القراء والمؤدبين هناك، وبعد ما اتقن القرآن الشريف حفظاً وتلاوة والم بمبادئ العلوم الاولية اخذ بامر من والده عليه الرحمة والرضوان يدرس العلوم العقلية والنقلية على اكابر علماء تلك البلدة المشهورين، حتى صار من اكابر الفقهاء والمحدثين ومن اعاظم الاصوليين والمفسرين، كما صار من جهابذة النحويين والمنطقيين ومن متقدمي شيوخ الطريقة الصوفيين، ثم اخذ بعد ما اقر علماء زمانه بفضله وعلمه يدرس العلوم على اقسامها فى احدى مدارس بلدته فخريا ويفتي الناس ويرشد الخلائق الى الطريق القويم وظل كذلك حتى طبقت شهرته الآفاق وعمت فضائله الخلائق على الاطلاق، واخذت تتوارد عليه طلاب العلم والادب من اقصى البلاد للاغتراف من بحر حكمته وفضله والكرع من منهل علمه الغزير. الى درجة انه صار قبلة آمال المصلحين فى العلم والسياسة والدين؛ وكانت قد امتدت نحوه الاعناق وشخصت اليه الابصار من عموم بلاد العراق، ولما كان عظيما في قومه وعلمه وصلاحه واصلاحه، مشهوراً بكرمه وشرف اصله وبيته، وكانت

له كلمة الفصل لدى الناس اذ ذاك، صدرت ارادة ملكية تقضي باسكانه بغداد وبتعيينه قاضي القضاة للجيوش العراقية والخابورية ؛ وناظرا لاوقاف العراق ومتولياً على اوقاف الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي وكذلك على اوقاف جامع مرجان كما عين خطيباً فيه ومدرساً في جامع الشيخ شهاب الدين ومستشاراً لوالي مدينة بغداد وعضواً في مجلس الولاية وصدرت ارادة اخرى بان يتقاضى رواتب من فضلة اوقاف الامام موسى الكاظم والامام الاعظم ومحمد الفضل عليهم الرحمة والرضوان : نعم صدرت الارادة بتعيينه لكل ذلك كما جعلت له كلمة الفصل لدي الحكومة ودواوينها .

ولما جيء به الى بغداد واحتف به العلماء والوزراء لمكانته وشرف بيته الذي ينتسب اليه واخذ يباشر كل ما انيط به بجدارة ومقدرة انكب على مجالسه العلماء والفضلاء بغية طلب العلم و الارتشاف من بحار حكمته وآرائه وبقي طيلة حياته رحمه الله تعالى قائماً بنشر العلوم وتثقيف العقول وتنوير الاذهان ، وكان من جملة من تخرج عليه ونال حظاً وافراً من مختلف العلوم صاحب الخيرات العلامة داود باشا والعلامة المرحوم الشيخ قاسم الشهير بالقصير ، وانجاله العظام كالعلامة المرحوم الشيخ عبدالرحمن المتوفي سنة ١٢٨٨ والمدفون في رواق الشيخ عمر السهروردي على الجانب الايمن المداخل ، بباب حجرة السهروردي والعلامة المرحوم الشيخ محمد صالح المتوفي سنة ١٢١٦ والعلامة المرحوم الشيخ عبد الغني المتوفى سنة ١٢٥٠ هجرية وهذان مدفونان في مسجد حسب الله بمحلة تحت التكية الذى كان تحت

توليتهم وقبراهما يكونان على اليسار للداخل فيه ، والعلامة المرحوم الشيخ عبد القادر المتوفى بعد الطاعون الكبير بمدة قليلة وهو مدفون في حضرة السهروردى بجنب اخيه العلامة عبد الرحمن والعلامة الشيخ الحاج محمد رشيد خطيب جامع مرجان ، وهذا الاخير قدتوفى في الآستانة سنة ١٣٠٧ هجرية ودفن فيها وكان سبب رواحه عليه الرحمة دعوة تقى الدين باشا له وبوصوله اليها قابل السلطان ولقى منه حضوة كبرى فضلا عما منحه اياه من جزيل المرتبات عداواردات فدانين من الاراضى : واشتد تعلق السلطان به اصدر ارادة بان يخطبه فى بعض الجمع فكان منه ذلك ، واما غير هؤلاء الفضلاء الذين تخرجوا على المرحوم العلامة المترجم فكثيرون : كان رحمه الله تعالى متخلقاً باخلاق السلف الصالح كريم اليدين مضيافاً شريف النفس عالى الهمة طاهر الذيل نقي القلب وقد كان رحمه الله واسع الصدر طويل القامة ابيض الوجه احمره اسود العينين اقنى الانف عريض المنكبين ، وكان يمتطي في ذهابه وايابه فرساً من جياد الخيل ، تحفه المهابة والوقار ؛ ويمشي امامه احد عبيده حاملا سيفاً وآخر يمشي خلفه كان جم البر والاحسان مأوى الارامل والايتام كثير الخير ذا صدقات جارية من خالص دخل اراضيه وملكه ومزارعه التى تركها لاولاده حتى اليوم يتوارثونها طيقة بعد اخرى ، كان قوي الجنان عاملا بما علم زاهداً ورعاً كثير الصوم والصلاة ، وليس ادل على زهده فى الدنيا ورغبته فى الآخرة مع كثرة وارده وتعدد وظائفه من لبسه ما خشن من الصوف

واكله ما تيسر له من الطعام ، كان عليه الرحمة ذا رأى سديد حكيماً ثاقب النظر ، قوى الذاكرة سريع الحفظ عظيم المكرمات معيناً في الملمات ، كم له من مناقب تتردد السنة الناس حتى اليوم وكم اخرج من اعماق السجون الرجال وفك من القيود الابطال ، وكم له من مواقف مشهورة زجرفيها الولاة والامراء ، وناظر فى ما يخص الدين ويهم المسلمين فحول العلماء ، ما جلس رحمه الله مجلس سوء ولا عصى الله تعالى في شيء وكان لا يرى الى خير الامة سبيلا الا سلكه ولا لنشر العلم والاصلاح بابا الا ولجه . كان يقضي وقته بالتعليم والارشاد . ويشتغل عن اللذائذ بافتاء المسلمين من العباد . والذى يدل على عمله هذا ونشاطه ذاك تأليفه في الفتيا والحكم تشكوليه الكبير والصغير وهما لم يطبعا بعد ، ورسالة القول المبين في شرح حديث سيد المرسلين ، وهذا الكتاب الذى الفه سنة ست عشرة بعد المائتين والالف للهجرة ورسائل اخرى وتعاليق وشروحاً ستظهرها الايام ان شآء الله تعالى . والخلاصة اما عن فضله وعلمه واصلاحه وصلاحه فقل ما شئت فيه لانه كان اشهر من ان يذكر وكان رحمه الله خلوقاً بمعنى الكلمة حسن الالفة طيب العشرة والمجاملة من غير تكلف خفيف الروح ليس عنده كبير افضل من صغير الا بالعلم والعقل ، وكان يسع الناس بحلمه واخلاقه ويغار على دينه غيرة الزهاد والصالحين فلا يصلى فرضا الا مع الجماعة ولا يفوته فرض لا في سفر ولا في حضر ولا فى مرض ، وكان حافظا من القرآن معظمه ومن الحديث اكثره بل كان فيه راوية اماما وحجة وبرهانا وكان

يساعد طلاب العلم والادب ، ويبر اصحاب العاهات وابناء السبيل ولم يزل رحمه الله قطب دائرة العلم والعلماء ، وملتقى انوار الشيوخ العظماء ، حتى توفاه الله تعالى واختار له الرجوع والركون اليه ، ولم يشع خبر موته الا وعم البلد الحزن والاسى ، وهرع الناس علماؤهم وساداتهم وسراتهم وشيوخهم ووزراؤهم وخواصهم وعوامهم لتشييع جنازته والتشرف بحمل نعشه ، فحمله العلماء ثم كبار القوم حتى وصلوا بجثمانه الشريف اول منازل اخراه الذي اعده له بجامع الامام السهروردي بسرداب هيء له تحت المأذنة وذلك سنة ثلاث وستين بعد المائتين والالف للهجرة فدفن هناك ثم اقيمت له المآتم في انحاء البلاد واخذت تنهال رسائل التعزية على اولاده من اقاصي البلاد وادانيها ولا سيما من الوزراء والاعيان بالآستانة وغيرها من البلاد ، وكان قد نعاه العلماء ورثاه الشعراء وارخ موته المؤرخون ولكننا نكتفي ، خشية الاطالة ، بذكر تاريخ العالم الفاضل والاديب الكامل الشيخ عبد الحميد وهذا هو :

قد حل هذا القبر حبر دين ... وبما قضى الله المهيمن مؤمن
صعب شديد في الديانة بأسه ... لكن في دنياه سهل هين
تثنى عليه من المكارم السن ... ومن العلا تبكي عليه الاعين
فان اختفى تحت الجنادل جسمه ... فالفضل منه ظاهر ومبين
لازال يحسن ان اساء زمانه ... رفقاً ويدفع بالتي هي احسن
مذ حل في فردوس جنات العلى ... ارخت (في الفردوس خلد محسن)

١٢٦٣

هذه ترجمة مختصرة لحياة المؤلف رحمه الله تعالى اعتمدنا فيها على ترجمة مطولة وقفنا عليها فى مجموعة لاحد اولاده تتضمن تراجم رجال اسرته وقد رأينا ان نلحقها بالكتاب ليعرف مطالعوه سيرة مؤلفه وما كان عليه مما يودون ولا شك معرفته لاجل ان يروا اثر علمه عليه الرحمة في عمله ، والله سبحانه نسأل ان يتولى الجميع بتوفيقه

انه سميع مجيب

كنا نتمنى ان يخلو هذا الكتاب من الغلط المطبعي ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه . . . فاننا بالرغم من عنايتنا بتصحيحه لم نتمكن من الوقوف دون وقوع غلط فيه ولذلك رأينا ان نشير هنا الى ما عثرنا عليه من الغلط المذكور راجين من القارئ تصحيحه قبل ان يبدأ بقراءة الكتاب :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١٨	المعبر	المعبر
٥	١	كلمة (لله)	كلمة (الله)
«	٣	وحجه	وحجة
٧	٤	فطسئن	فطمئن
١٠	٩	يومئذ ناظرة	يومئذ ناضرة
«	١٦	المرأ	المرء
«	١٨	هذا قوله	هذا فهو قوله
١١	٩	تضلك	تظلك
١٢	١	معرفة الله تعالى	معرفة الله
«	٢	وعلى	وعلا
١٣	٩	دمائهم	دماءهم
١٥	١٣	الصورة	صورة
١٧	٢٠	واولوا العالم	واولو العلم
١٨	١٤	وترجوا	وترجو
٢٠	٤	غالية	غالبة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠	٩	مهاوي	مهاو
«	١٠	اوعالم	وعالم
٢٤	١٢	ان سمع من فبالحق	ان سمع فبالحق
«	١٤	وبصراً الخبر»	وبصراً » الخبر
«	١٩	او الصى	او الصبى
٢٦	٢٠	اليقصنة	اليقظة
٢٧	١	والتوفيض	رِ التفويض
٢٩	العنوان	العاقبة والسالفة	العاقبة والسابقة
٣٠	١٣	كما	كلما
٣١	١	لونها	لوناً
٣٢	١٥	لاجل كل	لاجلّ
٢٩	١٩	امرء	امرؤ
٤٠	٧	ويحسب	ويحسبون

DATE DUE

297.3:A12nA:c.1
العباسى ،عبد المحسن
نجاة الناس بكلمة الاخلاص
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01008513

297.3 : A12nA
العباسي - عبدالمحسن
نجاة الناس بكلمة الاخلاص

297.3
A12nA